HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

الموروث التاريخي في شعر بشّار

ذياب سرحان سعلو الرفيعي

[1] طالب دكتوراه، كلية التربية حنتوب، جامعة الجزيرة، السودان

اشراف د. بابكر الأمين الدرديري

تاريخ النشر: 2021/05/01م تاريخ القبول: 2020/12/28م

المستخلص

يستحضر بشَار الرموز التاريخية في شعره بما يلائم أفكاره وتجربته الشعرية، الحكمة وجَدَت طريقها الى شعر بشار بن برد بتأثير ثقافته الواسعة، يستعين بشار بالتأريخ للتعبير عمَّا يدورُ في خلده مما يدل على قدرة الشاعر وامتلاكه طاقة تعبيرية تسندها معرفة بتأريخ الأُمم والملوك، أدرك بشار أهمية الإفادة من التراث بما يحتويه من صور متعددة ترفد الشاعر بأشكال مختلفة من المشاهد والتصورات في إبداعه الشعري، إن الشاعر استثمر دلالات شخصياته التي استدعاها في بيان عمق تجربته الفردية وقيمتها الإنسانية، أن بشاراً لا ينفك عن الفخر بنفسه، وبنسبه الذي يعود إلى بني فارس، استلهم بشار أيام العرب وسعى إلى توظيفها في شعره توظيفاً يتناسب ومدحه واعتزازه وفخره، (أيام العرب) واحدة من العيون التي يستقي منها الشاعر أفكاره الشعرية وكأنَّه في ساحة المعركة تسعفه في ذلك شاعريته وقدرته على التعبير.

RESEARCH ARTICLE

THE HISTORICAL TRADITION IN THE POETRY OF BASHAR

D. Babikir Al-Amin Al- Drdeiry[1] **Dheyab Sarhan Sallo El- Rufaye[2]**

[1] Hantoub College of Education / University of Gezira / Sudan
[2] PhD student, College of Hantoub Education, University of Gezira, Sudan

Published at 01/05/2021 **Accepted at 28/12/2020**

Abstract

Bashar invokes historical symbols in his poetry in a way that suits his ideas and poetic experience. Wisdom found its way into the poetry of Bashar bin Barad through the influence of his vast culture. Bashar uses history to express what is going on in his mind, which indicates the poet's ability and expressive power that is supported by knowledge of the history of nations and kings. Bashar realized From the heritage that it contains of multiple images that provide the poet with different forms of scenes and perceptions in his poetic creativity. Ayyam al-Arab and sought to employ it in his poetry in a manner commensurate with his praise, pride and pride, (Ayyam al-Arab) is one of the eyes from which the poet draws his poetic ideas, as if on the battlefield, his poetics and his ability to express his help in this.

المقدمة:

إنّ الثقافة التاريخية كانت احد أسباب ثقافة الشاعر، لاكتنازها ذخائر يميل اليها الشعراء ويتناقلها بعضهم من بعض، مولدين بذلك أروع الصور الشعرية التي تهتز لها القلوب، وتطرب بسماعها النفوس.، فكان استصحاب واستحضار الشخصيات التاريخية في الشعر العربي من أهم المصادر التي تلهم الشعراء وتمنحهم موارد خصبة لا تنفذ ينهلون منها ويجدّدون في معانيهم وأفكارهم، وبشّار أحد هؤلاء الشعراء الذين استصحبوا الموروث التاريخي في أشعارهم، فخرجت لوحات مضيئة ترسم طريق القصيدة وتمنحها الألق والبهاء والجمال.

مشكلة البحث:

يذخر الموروث العربي بشخصيات تاريخية لها قيمها وكينونتها، كانت تمثّل في وقتها قمة الحكمة والشجاعة والرأي السديد والفكر الثاقب والعلم الوفير ، فكان من الضروري بل من الملزم للشعراء العرب الوقوف عند تلك الشخصيات متناولين مواقفها المشرقة والمشرّفة، ومستصحبين أعمالهم ومواقفهم ليسقطوها على الواقع الذي يعيشونه، من هنا كانت مشكلة البحث الذي أتى ليوضح الموروث التاريخي في شعر بشّار.

فروض البحث:

- استدعى بشّار مجموعة متنوعة من الشخصيات التاريخية المختلفة في شعره.
- تمثل بشار لعدد من الأنساب والقبائل فضلاً عن ذكر بعض أنساب الفرس والأمم البائدة.
- استلهم بشّار أيام العرب، وسعى إلى توظيفها توظيفاً يتناسب ومدحه واعتزازه وفخره.

أهداف البحث:

- تناول الشخصيات التاريخية المختلفة التي استدعاها بشّار في شعره.
- توضيح الأنساب والقبائل العربية والفارسية وأنساب الأمم البائدة التي تناولها بشّار في شعره.
- التعريف بكيفية استلهام بشّار أيام العرب وتوظيفها توظيفاً يتناسب ومدح واعتزازه وفخره.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

الدراسات السابقة:

– دراسة مقدمة من الطالب عمر محمد ياسر فرحات، بعنوان: توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لعمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة فيلادلفيا، 2018 – 2019م.

– دراسة مقدمة من الطالبة خديجة حسين أحمد المغنج، بعنوان: استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية تربية الزلفى، الجمهورية اليمنية، 2000م.

المبحث الأوّل

استدعاء الشخصيات التاريخية

الشخصياتُ التاريخية موردٌ من الموارد التي استقى منها الشاعر ثقافته؛ لِما لها من دلالات حاضرة في نفوس الناس، و((بالطبع فإنَّ الشاعر يختار من شخصيات التأريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها الى المتلقي))[1].

لقد استطاع بشار بن برد باستدعائه مجموعة متنوعة من الشخصيات التاريخية أن يؤكد الصلة الوثيقة بين هذه الشخصيات، والتجربة التي يروم التعبير عنها، وباستقرائنا لشعره وجدناه يستحضر هذه الرموز التاريخية بما يلائم أفكاره وتجربته الشعرية، فقد استدعى الشخصيات الإسلامية وغير الإسلامية التي احتلّت مساحة واسعة في شعره. ومن ذلك قولُهُ[2] متغزلاً:

واحفظْ لسانكَ في الواشين إنَّ لهم عيْناً ترُودُ وتنْفيراً وإلْهابَا

لا تفشِ سرَّ فتاةٍ كُنتَ تألفُها إنَّ الكريمَ لها راعٍ وإنْ تابَا

واسعدْبما قالَ في الحِلمِ ابنُ "ذيي زنٍ"[3] يَلهو الكِرامُ ولا يَنسونَ أحسابَا

يعمد الشاعر الى استدعاء شخصية (سيف بن ذي يزن)، مستفيداً من الجانب الحكمي عند هذه الشخصية التاريخية، إذ يرسل الشاعر من خلال النص مجموعة من النصائح، فالكرام لا يفشون سراً، وهم حريصون دائماً على الخلق الطيّب، والإقامة عليه حتى في أوقات اللّهو واللّعب، وإنَّما جاء تمثيل الشاعر لقول سيف بن ذي يزن اسناداً لفكرته المبثوثة في النصّ الشعريّ؛ لأنَّ الحكمة وجَدَت طريقها الى شعر بشار بن برد بتأثير ثقافته الواسعة وميله الى هذا النوع من القول[4].

وفي قصيدة يمدح فيها بشار (روح بن حاتم) مستعيناً ببعض الشخصيات التاريخية من آباء الممدوح، يقول[5]:

لقَد سادَ أشرافُ العراقِ ابن "حاتمٍ"[6] كما سَادَ أهْلَ الْمَشْرِقَيْنِ "المُهَلَّبُ"

---

(1) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، د.علي عشري زايد: 120.

(2) الديوان: 1/233-234.

(3) سيف بن ذي يزن أحد ملوك اليمن، ومن أولاده ملوك أيضاً، وكان له الفضل في طرد الأحباش من اليمن بمساعدة الفرس. ينظر: تأريخ اليعقوبي، احمد بن واضح اليعقوبي: 1/200، وتأريخ الرسل والملوك، الطبري: 2/144-147، ومروج الذهب ومعادن الجواهر: 2/85-90، والبداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي: 2/161-162.

(4) ينظر: اتجاهات الشعر العر بي في القرن الثاني الهجري: 477.

(5) الديوان: 1/360-361.

لَهُ فَضَلاتٌ من "قَبيصَة" في النَّدَى وأكرُومَةٌ من "حَاتمٍ" لاَ تَعَطَّبُ

وَمن إِرث "سَرَّاقٍ" عَلَيه مَهَابَةٌ تَظَلُّ قلوبُ القَومِ منها توجبُ

ويَغدُو بأَخْلاَق "المُهَلَّب" مُولَعاً كَمَا شمَّرَت عن سَاقِهَا الحَربُ تَطرَبُ

ويَعطِفُ "كِنديٌّ" عَلَيه و"ظَالمٌ" مَآثَرَ أيَّام تَطيبُ وَتَرحُبُ

وكم من أبٍ غمرٍ لـ"روح بن حاتمٍ" يزين آباءً وزينهُ أبُ

لَهُ حُكْمُ لُقْمَانٍ[7] وَجزمُ مُوفَّقٍ وللموتِ منهُ مَخرَجٌ حين يَغضبُ

يغور الشاعر بهذه الأبيات الى أعماق نسب الممدوح الذي وجد في هذا التوظيف ما يبعث في نفسه العزة والارتياح؛ لذلك كان استدعاؤهُ لهذه الشخصيات التراثية في صالح النصّ وخدمتِهِ، للفوز برضا الممدوح وكسب عطاياهُ، ويُعدُّ ذلك أيضاً دليلاً آخرَ على ثقافة الشاعر الواسعة، ولاسيَّما ثقافته في انساب العرب باستعماله لغة شعرية محكمة؛ لأنَّ اللغة هنا ((مشروطة بالممارسة والاستعمال، وفيها تتجلّى أصالة الشاعر باستفادته من التراث، وإضافته إليه في الوقت نفسه))[8].

فالشاعر يبيّن بأنَّ ممدوحَهُ اكتسب الشهرة من أجدادِهِ، فالمهلّب جدّهُ، الذي كان له أثر كبير في انقاذ البصرة من خطر الخوارج[9]، وقبيصة، وسراق، وظالم، وكندي، كلها مسميات لمعت في تأريخ الحضارة العربية.

ويُلاحظ أنَّ بشاراً مدح روح بن حاتم بأجداده كشخصيات تاريخية، ومدحَهُ أيضاً بشخصية اخرى معروفة هي شخصية (لقمان الحكيم)، مستعيراً منها جانب الحكمة الذي عُرِفَت به هذه الشخصية، فالممدوح حكيم ذو رأي سليم، وفي الوقت نفسه كان شديد القوة والبلاء، ويبدو أنَّ الشاعرَ أراد أن يُضفي على هذا الممدوح أكثر الصفات قبولاً، والذي حدا به الى ذلك دلالات الشخصيات المستوحاة.

وفي قصيدة اخرى يفتخر فيها بشار بنسبه الذي يعود الى بني فارس، ويذكر فيها بعض الشخصيات من ملوك الفرس والروم، يقول[10]:

---

(6) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب بن ابي صفره بن ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الازد بن عمرو مزيقات. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي: 2/367-370.

(7) لقمان الحكيم: كان عبداً حبشياً لرجل من بني اسرائيل، أعتقَهُ واعطاهُ مالاً، وكان في زمن النبي داود، وقيل إنَّهُ لم يكن نبياً، ولم يسمع الناس أحسن من كلامِهِ. ينظر: المعارف، ابن قتيبة: 55، والبداية والنهاية: 2/113-118.

(8) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د.محمد فتوح احمد: 120.

(9) ينظر: موسوعة الحضارة العربية، العصر الاموي، د.قصي الحسين: 3/349.

(10) الديوان: 1/389.

هل من رسولٍ مخبرٍ عنّي جميعَ الْعَرَبِ

مَنْ كانَ حيًّا مِنْهُمُ ومَنْ ثَوَى في التُّرَبِ

جدّي الَّذِي أسْمُو بِهِ كِسْرَى[11]، وساسانُ[12] أبِي

وقيصرٌ[13] خالي إذا عَدَدْتُ يوْماً نَسَبِي

كَم لي وَكَم لي مِنْ أبٍ بِتاجِهِ مُعْتَصِبِ

الشاعر في هذه الأبيات يعتزُّ ويفتخر بآبائه وأجداده، ويستعين بالتأريخ للتعبير عمَّا يدورُ في خلده، ولإثبات مفاخره فهو يصور لنا في هذه الأبيات أجمل الصور الإيحائية، ويُشعِرُنا بأنَّ هذا النصّ عبارة عن رسالة من الشاعر الى العرب الاحياء منهم والأموات مفادها التعريف بالشاعر وآبائه، فساسان أبوهُ وكسرى جدَّهُ وكلٌّ منهم ملك، وكذلك قيصر الذي عدَّهُ أحد أخواله، وهو بذلك يحاول الوصول الى صورة متكاملة من الفخر.

وهذا كله دليل على قدرة الشاعر وامتلاكه طاقة تعبيرية تسندها معرفة بتأريخ الأُمم والملوك، وهذه الأبيات تُعَدُّ حُجة على تمسك بشار بفارسيّته لصدورها عن هذا النفس الشعري الدال على قوميّة الشاعر.

وفي قصيدة يمدح فيها الشاعر الخليفة المهدي وولده موسى يحشد بشار عدداً من الشخصيات التاريخية الضاربة في القدم يقول[14]:

ببطنِ مكَّة آثارٌ لأوّلكُم ممّا بنى لمعد[15] جدّهُ أددُ[16]

(11) كسرى انو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجر، من بني بهران، صاحب عقل ورأي وبأس شديد. ينظر: تأريخ اليعقوبي: 162/1-164، وتأريخ الرسل والملوك: 98/2-99.

وقيل: إنَّهُ كسرى بن أروان أحد ملوك الفرس، حكم أربعين سنة ثم ملك بعده ابنه بلاس بن كسرى أربعاً وعشرين سنة. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 244/1.

(12) ساسان بن بابك، من ملوك الفرس الثانية، وهو أول ملوك ساسان وأبوهم، وكان آخر من حجَّ منهم الى البيت الحرام حيث كان أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف فيه تعظيماً له. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 250/1.

(13) قيصر: أحد ملوك الروم، واسمه (اوغسطس) وهو أول من سُمّيَ قيصر، وتفسير ذلك أنَّهُ شقّ عنه بطن امّه لأنَّها ماتت وهي حاملٌ به فأُخرِجَ من بطنها، ثم صار ذلك لقباً لملوكهم. ينظر: الكامل في التأريخ، عز الدين ابن الأثير: 324/1.

(14) الديوان: 287/2-288.

(15) معد بن عدنان بن ادد. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 283/2، وموسوعة الحضارة العربية – العصر الجاهلي: 217/1.

(16) ادد بن ناخور بن سود بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الله (عليه السلام). ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 283/2، وموسوعة الحضارة العربية – العصر الجاهلي، قصي الحسين: 217/1.

اللهُ كان وما كانت فكونها وما بها غيركُم من أهلِها سندُ

وبيتُ خالِكَ حُجرٍ في ذُرى يمنٍ بيتٌ تكاملَ فيه العزُّ والنَّضَدُ

وبيتُ عمروٍ[17] ومبنى بيتِ ذي يَزَنٍ وذي الكلاعِ[18] ومن دانت له الجَنَدُ

وتُبَّعٌ[19] وسرابيلُ الحديد لَهُ أزمانَ يُنسَجُ في أزمانِهِ الزَّرَدُ

فافخَرْ هُناكَ بأقوامٍ ذوي كرمٍ لو خلَّدَ اللهُ قوماً للعُلى خلدُوا

لقد كان استدعاء هذه الشخصيات وتحشيدها بهذه الصورة لاجل التأثير في الممدوح الذي يصفه الشاعر بانه قد ورث هذا الملك من هؤلاء الرجال الذين كان لهم الدور المهم في حضارة العرب، ومن ثم فإنّ الشاعر اجاد في ذكر مفاخرهم ووصف بطولاتهم، فقد ((مضى الشعر العربي على هذا النحو طوال عقود يصور تأريخ العرب السياسي والحربي، وحياتهم الاجتماعية والفكرية))[20]، وربّما اراد الشاعر من وراء ابياته تلك غرضاً سياسياً متمثلاً في اشتراط وجود الخلافة في شخص المهدي العباسي، وعلى اية حال فقد كان استدعاء الشخصيات التاريخية من الشاعر بمثابة السبب الذي ساعده في الوصول الى هدفه الشعري، وجاء تصرف بشار بن برد في نصه تصرفاً لطيفاً يتناسب مع غرض المدح.

ومن الشخصيات القديمة التي يذكرها بشار شخصية (لقيم بن لقمان بن عاد) ((وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر لقيم بن لقمان))[21]، يستدعي الشاعر هذه الشخصية مستفيداً من الدلالات المرتبطة قال[22]:

قُومِي اصبحينَا فما صيغ الفتَى حجرا لكِن رهينة أجداثٍ وأرماسِ

قُومِي اصبحينَا فإنَّ الدهرَ ذو غِيَرٍ أفنَى لقيما[23] وأفنَى آلَ هرماسِ[24]

(17) عمرو بن سبأ (ابو مالك) احد ملوك اليمن، كان ملكه ثلاثمائة سنة، اتصل ملكه وغمر الناس عدله وشملهم احسانه. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 79/2.

(18) ذو الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن معد، ويشير نسب ذي الكلاع الى انه من الاسر التي كانت تحكم اليمن قبل غزو الحبش لها، فهو من الاسر الحميرية الشريفة في اليمن. ينظر: المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام: 184/4.

(19) تُبّع هو احد ملوك اليمن، امتد ملكه أربعمائة سنة، وذكر اكثر الناس ان بلقيس قتلته، وقيل غير ذلك. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 80/2.

(20) في التراث والشعر واللغة، د.شوقي ضيف: 153.

(21) البيان والتبيين: 184/1

(22) الديوان:84/4-85

يخاطب الشاعر احدى النساء ويحثها أن تسقيه الخمر صباحا، غير مبالٍ بما تؤول إليه الأمور، فالشاعر يريد ان يأخذ حقه من اللّعب اللّهو، مصرحاً بأن الإنسان مهما طال عمره، و أجل قدره فإن مصيره الموت مستعيناً بشخصية لقيم بن لقمان بن عاد وقد ذكرت الشعراء الأمم البائدة مثل لقمان وآل هرماس[25]،

ومن الشخصيات الجاهلية التي استدعاها بشار في أحد نصوصه الشعرية شخصيتي: كعب بن زهير التغلبي، وشخصية بسطام بن قيس البكري، وذلك في قصيدة يفتخر فيها بنفسه ويهجو مواليه من العرب قال[26]:

أعاذلَ لا أنامُ على اقتسارِ ولا ألقَى على مولىً وجارِ

أُسِرتُ وكَمْ تقدَّمَ من أسيرٍ يزيّنُ وجهَهُ عقدَ الإسا

ككعبٍ[27] أو كبسطامِ[28] بن قيسٍ أُصيبَا ثمَّ ما دَنَسا بعارِ

يتخذ الشاعر أبياته هذه وسيلة يبين فيها مكانته، فبالرغم من كونه مولى للعرب فإنهُ عزيز قوم جاعلا من نفسه أسيرا، ولكن ليس كأي أسير، فهذا كعب بن زهير التغلبي وبسطام بن قيس، كلاهما أُسِرَ إلا إن الأسر لم يحط من مكانتهم، والشاعر عندما يشبه مكانته بمكانة هذه الشخصيات العربية التي كان لها دور كبير في

---

(23) لقيم بن لقمان بن عاد، ولقمان بن عاد صاحب النسور، عرف بطول العمر، وقيل إنه عاش حتى سبعة نسور، وكانت العرب تضرب المثل بهذه الأمم البعيدة. ينظر: البيان والتبيين: 184/1-187، وتاريخ اليعقوبي: 22/1.

(24) آل هرماس: قيل إن هرماساً هذا واضع علم الحكمة في مصر ويسميه المصريون القدماء (ثوث)، أما العرب فيسمونه (أدريس). ينظر الديوان: 85/4. وقيل إنَّ آلَ هرماس ((بطنٌ من بني رعوض حذيمة طي من القحطانية، مساكنهم مع قومهم جرم ببلاد غزة)). نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 387

(25) ينظر: البيان والتبيين: 187/1

(26) الديوان: 229/3-230

(27) يُرجّحُ الاستاذ الشيخ الطاهر بن عاشور شارح ديوان بشار بن برد أنَّ كعب الذي قصده بشار هو كعب بن زهير بن جشم التغلبي، ولهذه الشخصية ذكر في بعض كتب الأنساب مثل كتاب جمهرة أنساب العرب لأبن حزم الأندلسي في جزئه الثاني صفحة (305)، وكذلك ما ورد عنه من اخبار في كتاب أيام العرب في الجاهلية الذي ينقل بأنه قتل على يد رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير بن يزيد، الأمر الذي أدى إلى اندلاع الحروب بين الأوس والخزرج؛ لأن كعب كان حليفاً للخزرج. ينظر: أيام العرب في الجاهلية، د.محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، ومحمد احمد جاد المولى: 63.

(28) بسطام بن قيس: فارس بكر وأحد من وفد الى النعمان بن المنذر، أسر يوم الغبيط وهو يوم لبني يربوع على بني شيبان، وقد أسره عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، فظل أسيراً حتى فدى نفسه. ينظر: العمدة من محاسن الشعر وآدابه ونقده:211/2-220، وأيام العرب في الجاهلية: 191- 192.

الحروب الجاهلية إنما يريد أن يُعرَف بمنزلته، ويباهل من ينتقص منه، فلا يغيب علينا إن العصر الاموي الذي عاش فيه الشاعر من العصور

التي شهدت فيه العصبية القبلية ذروتها، وبلغ الهجاء فيه أبعد الغايات، ولاسيّما النظرة إلى الموالي من غير العرب، فأصبح لزوماً على الشاعر أن يذب عن نفسه بسلاحه المعروف (الشعر).

ومن هنا يمكن القول ان الثقافة التاريخية كانت احد أسباب ثقافة الشاعر، لاكتنازها ذخائر يميل اليها الشعراء ويتناقلها بعضهم من بعض، مولدين بذلك أروع الصور الشعرية التي تهتز لها القلوب، وتطرب بسماعها النفوس.

وليس ببعيد عن مدح آل المهلّب مدح الشاعر هذه المرّة (يزيد بن حاتم)، إذ يقول[29]:

فافخَر بمَن غيَّبت القُبُورُ

ماتُوا وآثارُهم تَنيرُ

قَبيصَةُ المجدِ به تَسُورُ

وحاتَمٌ يُنعِمُ أو يُغيرُ

والثّالثُ المُهلَّبُ الكَبيرُ

في بيتِ أشرافٍ به تَدُورُ

تتبعُ كِندِيّاً ولا تَجُورُ

وعامرٌ أنت له المعمُورُ

تَمَّت لك البُطُونُ والظُّهُورُ

يبدأ الشاعر ابياته بفعل الامر (افخر)، وبهذا الدعاء ابتدأ الشاعر مديحَهُ، إذ يشيد الشاعر في نصّه الشعري بشجاعة اجداد الممدوح، تلك الشجاعة التي تنبئ عنها الاعمال لا الاقوال، ويلاحظ البحث أن الجو العام في هذه

(29) الديوان: 3/189-190.

القصيدة لا يختلف عنه في القصيدة التي يمدح فيها بشار (روح بن حاتم)، وربَّما يعود ذلك الى المشتركات بين الشخصيتين، ومن هنا فقد أدرك الشاعر اهمية الافادة

من التراث بما يحتويه من صور متعددة ترفد الشاعر بأشكال مختلفة من المشاهد والتصورات التي أصبحت وسيلة الشاعر في إبداعه الشعري.

وفي نصّ آخر يمدح بشار فيه (داود بن سليمان)، يقول[30]:

كَمْ من كريمٍ من بني هاشمٍ مهدى به الصِّحَّةُ والخيرُ

لِلمُلكِ عبَّاسٌ[31] وأبْناؤُهُ قِدْماً ولِلْحُشِّ[32] الْخَنَازيرُ

يستعين الشاعر في أبياته بشخصية اسلامية معروفة، وهي شخصية (العباس بن عبد المطلب) جد بني العباس، والواضح أنَّه توظيف سياسي جاء به الشاعر؛ لإرضاء ممدوحه وكسب عطاياه، فالشاعر في هذه الابيات وفي غيرها يؤكد أنَّ بني العباس أولى بالخلافة من غيرهم، ومن ثم فإنّه يشبّه المزاحمين لهم بالخنازير، وهو تشبيه مشوه وقاسٍ، إلا أن استعانة الشاعر بهذه الشخصية الاسلامية كانت بمثابة الومضة الذي لجأ اليها الشاعر لغرض تعزيز فكرته وبيان رؤيته الشعرية إزاء ممدوحه.

وتظل الثقافة التاريخية المصدر الثّر الذي ينهل منه بشار بن برد صورَهُ الشعرية، فهو يستدعي في هذه المرّة شخصية تاريخية اخرى، وهي شخصية عبد الله بن جعفر، يقول[33]:

دَعيني ابْنَةَ السَّعْدِيّ إن خَلِيقَتِي أتَت دونَ مالي فانثَنَى وحدَهُ قَصدَا

وقد يرزقُ اللهُ اللئيمَ وربَّما غَدَا الماجِدُ المحمودُ من مالِهِ فردَا

ومَا كنتُ إلا كالأصمِّ ابن جعفرٍ[34] رأى المالَ لا يبقَى فأبقَى لَهُ حَمدَا

(30) الديوان: 197/3.

(31) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمّ الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: جمهرة أنساب العرب: 14/1.

(32) الحش: موضع قضاء الحاجة. ينظر: لسان العرب: 286/6.

(33) الديوان: 58/3.

(34) هو عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب (عليهم السلام)، وقد كان عبد الله بن جعفر من الجود بالموضع المعروف، ولمّا قلّ مالَهُ سُمِعَ يوم الجمعة في المسجد الجامع وهو يقول: (اللهمّ انك عودتني عادة فعودها عبادك، فإذا قطعتها عني فلا تبقني فمات في تلك الجمعة، وذلك في ايام عبد الله بن مروان، وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة، وقيل: بالمدينة). ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 192/3.

يستعين الشاعر بإحدى الشخصيات الاسلامية المعروفة بالكرم والجود، ويسند اليها صورته الشعرية الذي جاء فيها هذا التوظيف مناسباً لموضوع القصيدة التي يغلب عليها طابع الزهد في الدنيا، وهذا دأبُ الشعراء الكبار ومنهم بشار بن برد، واستحضار هذه الشخصية الإسلامية كان لصالح النصّ الشعري لإسناد ما يروم الشاعر تحقيقه وتعزيزه برموز التراث، هذا التراث الذي يُعدُّ ((منجم طاقات إيحائية لا ينفد له عطاء، فعناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجدانهم ما ليس لأية معطيات اخرى يستغلها الشاعر، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانيات الناس واعماقهم، تحفّ بها هالة من القداسة والإكبار))[35].

أما الشخصيات الأدبية فقد كان لها حضور في شعر بشار أيضاً ومن أبرز هذه الشخصيات (جميل بن عبد الله بن معمر) و(عروة بن حزام) اللّذَانِ اشتهرا بحبهما العذري و((تغنوا في شعرهم بهذا الحب وصوروا فيه نفوساً اكتوت بناره، وثبتت عليه، و أخلصت فيه ولم يكن رائدها فيها قضاء شهوة أو ظفراً بلذة، وإنما كانت تكتفي فيه بالوصل البريء))[36].

ففي قصيدة لبشار متغزلاً يقول[37] :

وقد كنتُ ذا لُبٍّ صحيحٍ فأصبَحت (عَبِدَةُ) بالهجرانِ قد أمرضَتْ لبي

ولستُ بأحيَا من (جميلِ بن معمرٍ)[38] و(عروةٍ)[39] إن لم يشفِ من حبِها ربي

تَعدُّ قليلاً ما لقيتُ من الهوى وحسبي بما لاقَيت من حبِها حسبي

يجعل الشاعر من هذه الشخصيات الأدبية رمزاً في حال غزله (بعبدة) التي يصف حبها بأنه أذهب عقله بعد أن كان ذا عقل سليم، ومن ثم فإنَّ الشاعر يصرح بأنه ليس بباقٍ أكثر من بقاء هؤلاء العشاق ولم يكن اختيار هذه الشخصيات من الشاعر اختياراً عشوائياً بل كان الهدف منه إثبات صدق مشاعره، هذه المشاعر النزيهة فألقت دلالة هذه الشخصيات ظلالها على هذا المعنى، لذلك فإن توظيف الشاعر لها كان توظيف ناجح منسجم في حال غزله.

---

(35) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد: 127-128.

(36) الحب العذري نشأته وتطوره، احمد عبد الستار الجواري: 74. وينظر: الصورة الشعرية في الغزل العذري، د.دلال هاشم كريم الكناني: 38

(37) الديوان: 215/1

(38) هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان، وقيل بن معمر بن حن بن ظبيان، وقد عرف بحبه لبثينة صبأ بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حن بن ربيعة في النسب. ينظر: الأغاني، ابو فرج الاصفهاني، إعداد: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان: 288/8-289

(39) هو ((عروة بن حزام بن مهاجر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر أسلامي أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه عقال بن مهاجر وتشبيبه بها)). المصدر نفسه: 283/24.

وليس ببعيدٍ عن هذا المعنى أن نجد بشار بن برد يستدل بشخصية (عروة بن حزام) في غزله مرة أُخرى معبراً من خلال استدلاله عن حال الحزن من جراء صدود الحبيبة وعدم استجابتها له، يقول[40]:

وبيضاءُ يضحكُ ماءُ الشَّبا بِ في وجهِها إنْ تبتسِمْ

ظمئِتُ إليها فلم تَسقِني بريً ولم تُشفِني من سَقَمْ

فقالَتْ هَويتُ فمِتُ راشداً كَمَا ماتَ عروةُ غماً بِغَمْ

فالشاعر يصف حبيبته أجمل الأوصاف فهي بيضاء، جميله، يرى في وجهها حيوية الشباب إذا تبسمت، جاعلا من رقتها وشبابها الماء الذي يسقى به الظمآن، والدواء الذي يشفى به السقيم، وهي استعارة جميلة من الشاعر، غير إن الحبيبة بخيله مع الشاعر؛ لذلك نراه يصرح على لسانها بمثال (عروة بن حزام) وهو دلالة على عدم بلوغ أربه بعد أن تمكن حبها منه، وقد أفاد الشاعر من توظيفه لهذه الشخصية التراثية وأيقونة الغزل العذري المرتبط بها للوصول إلى غايات في حبه؛ لأن ((الغزل العذري هو المظهر الفني للعواطف المتعففة، والملتهبة في آنٍ معاً التي وجدت أنَّ هذا التعويض الفني هو خير ما تطفئ به لهبها، وتتسامى به في غرائزها))[41]،

وفي المجال نفسه يستدعي الشاعر أحدى الشخصيات المعروفة بغزله العفيف وهو الشاعر (عبد الله بن العجلان) وذلك في قصيدة لبشار يقول[42]:

فيا حزناً في الصدرِ منك حرارةٌ وفي النَّفسِ حاجاتٌ تشوقُ ولا تجدِي

وقالَ ابن منظورٍ أصبتَ فلا تكنْ أحاديثَ نمَّامٍ تنيرُ ولا تسدِي

لعلَّكَ تسلَى أو تساعفُك النَّوى ولم تلقَ ما لاقَى ابن عجلان[43]من هندِ

يخوّفُني موتَ المحبّين صاحِبي فطُوبَى لهم سِيقُوا الى جنّةِ الخُلدِ

---

(40) الديوان: 185/4

(41) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، د.شكري فيصل:287. وللمزيد من تواحد هذه الثقافة في شعر بشار ينظر الديوان:1/260-261، 2/128، 3/230، 4/169.

(42) الديوان:2/312-313

(43) هو ((عبد الله بن عجلان بن الاحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن الحاف بن قضاعة، شاعر جاهلي احد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم)). الأغاني، إعداد: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان: 22/431

وما لقَى النَّهدي إلا سعادةً بمصرعِهِ، صلَّى الإلهُ على النَّهدِي

فالشاعر في أبياته يصور الحزن الشديد الذي ألم به نتيجة الشوق إلى حبيبته، فهو مكب على ذكرها وتأملها ، ومن ثم فإن نفسه تكدرت بعد أن أصبحت هذه المحبوبة هم النفس، و استقر حبها بين جنبات قلبه لينتقل إلى مشهد حواري بينه وبين أحد أصحابه الذي راح يصبره ويسليه، ويحثه على العزوف عما هو عليه من شجن و ألم، جاعلاً من (عبد الله بن العجلان) مثالاً لمن أرداه الحب إلا إن بشار مؤمن بأن من أرداه الحب ذهب سعيداً إلى جنة الخلد جاعلاً من عبد الله بن العجلان أحد الشهداء مُصَلّينَ عليه.

وهكذا أفادَ بشار من رمزية هذه الشخصيات، وتمظهرها في التراث العربي. ويبدو أنَّ حديث القلب وحكايات الحب أخذت حيزاً رحباً من حياة الحب فخلفت لنا هذا الشعر الغنائي الذي يتحدث فيه الشاعر عن نفسه، ويرسم فيه عواطفه ليشفي علة جسده، ولينقع غلة قلبه[44]، وهنا يمكن القول إن الشاعر استثمر دلالات شخصياته التي استدعاها في بيان عمق تجربته الفردية وقيمتها الإنسانية؛ لأن ((التجربة التي تتمتع بدرجة كبيرة من العمق هي التجربة التي يبزغ منها الشعر))[45].

الأنساب والقبائل في شعر بشار

لم يقتصر الفخر عند العربي بالكرم والجود، والشجاعة وحماية الجار، بل تعدى الى فخره بالقبيلة والنسب، لأنه يرى ذلك من مقومات الشخصية العربية، ولهذا عني العرب بالنسب وأولوه اهتماما كبيراً، فلما جاء في العصر الإسلامي الذي ثار على العصبية القبلية أصر على إبدال الفخر القبلي بالفخر الديني، قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[46]، إلا أنَّ العربي ظلّ متواصلاً مع هذا النوع من الفخر الذي أخذ يتسع ولاسيَّما في العصر الأُموي والعصر العباسي، وكان للشعراء النصيب الكبير في هذا الجانب، جاعلين منه وسيلة لتحقيق أهدافهم ومأربهم ومما ساعد في ذلك قبول وارتياح ممدوحيهم لمثل هذا الثناء والمديح، والمطلع على ديوان بشار بن برد يلاحظ إن الشاعر تمثل لعدد من الأنساب والقبائل فضلاً عن ذكر بعض أنساب الفرس والأمم البائدة.

فمن الأقوام التي استمد منها الشاعر المضامين، وقام بتسخيرها في أغراضه الشعرية قوم (جرهم- وصلاء) وذلك في قصيدة له معاتباً يقول[47]:

وخيرُ خَليلَيكَ الذي في لقائِهِ رواحٌ وفيه حينَ شطَّ غِناءُ

وما القُربُ إلاّ للمُقرّبِ نفسَهُ ولو ولدَتهُ جُرهمُ وصَلاءُ[48]

(44) ينظر: الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، لجنة من أُدباء الأقطار العربية: 11

(45) الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض، تفسير، ومقارنة)، د.عز الدين اسماعيل: 252-253, وللمزيد من حضور هذه الثقافة في شعر بشار يُنظر : الديوان : 1/ 260 -261, 2/ 128, 3/ 230, 4/169.

(46) الحجرات: 13

(47) الديوان: 1/152- 153.

ولا خَيَرَ في ودِ امريءٍ متصنعٍ بما ليسَ فيه والوِدادُ صَفاءُ

والشاعر في مقام العتاب يبين ما يجب أن يكون عليه الصديق الذي بلقائه ترتاح النفس، وبغيابه تحفظ المودة، وإن كان بعيد النسب جاعلاً من جرهم وهم من العرب البائدة[49]، وكذلك صلاء ثيمة يبين من خلالها هذا المعنى، فكان استعمال ثقافة الأنساب بمثابة الجسر الذي يصل الشاعر من خلاله لإيضاح أفكاره ومقاصده.

وقال أيضاً في مدح داود بن حاتم، وقد استحضر عدداً من أنساب العرب وقبائلهم[50]:

داودُ إنَّكَ قد بَلغتَ بحاتمٍ شرفَ العُلَى وذَهَبتَ في أسبابِهِ

وبني قبيصةُ والمهلبُ معقلاً وبَنَيتَ بيتَك في ذرى صلابة

ألقَتْ بنو يمنٍ إليكَ أمورَها وربيعةَ بن نزارِ الوهابةَ

يعظم الشاعر ممدوحه ويبجله، جاعلاً منه رمزاً من رموزه، والذي أزاد رفعة من ابائه، وأجداده الذين بنوا له المجد والشهرة، والشاعر يتخذ من ثقافته التاريخية بالأنساب، والقبائل العربية، طريقاً في مدحه، فقبائل اليمن والذي منها الأزد التي ينسب إليها المهلب بن أبي صفرة وأولاده[51]، وكذلك قبائل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ذات التاريخ العميق[52]، قد ألقت أمورها، وقيادة جيوشها إلى ممدوح الشاعر الذي أصبح على رأي الشاعر مركزاً للثقة، والحكمة والشجاعة لتلك القبائل التي وجد فيه خير ناصر ومعين لنصرة الدين وأهله وبذلك استطاع الشاعر توظيف ما يملكه من ثقافة نسبية وجعلها أحد أدوات مدحهِ.

وفي قصيدة أخرى لبشار مادحاً يقول[53]:

للهِ أيامُكَ في معدَ ثمَّ بني قحطان ثمَّ عبدِ

---

(48) صلاءة: صلاءة بن عمرو بن خويلفة بن الحارث بن النمير بن عامر بن صعصعة. ينظر: الصحاح: 576، وجمهرة أنساب العرب: 279/2

(49) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر: 151/2، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 345/1

(50) الديوان: 1/ 308-310

(51) ينظر الأنساب، السمعاني: 120/1

(52) ينظر: المصدر نفسه: 30/1، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 394/1

(53) الديوان: 236/2-240. ولهذه الأرجوزة قصة فحين ((حضر بشار يوماً الى مجلس عقبة بن سلم الهنائي، وقد حضر عقبة بن رؤبة بن العجاج ينشد أرجوزة، فاستحسنها بشار، فقال عقبة : يا أبا معاذ هذا طراز لا تحسنه أنت ولا نظراؤك، فغضب بشار فقال: إلي تقول هذا؟ والله إني لأرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غدا على عقبة بن سُلم الهنائي بأُرجوزته الدالية)). طبقات الشعراء: 25

كلُّ إمريءٍ رهنٌ بما يؤدي ورُبَّ ذي تاجٍ كريم المجدِ

كآلِ كِسرى وكآلِ بُردِ انكَبَّ جافٍ عن طريقِ الرُّشدِ

جفصلتهُ عن مالهِ والولدِ جججيا بنتَ أفصى من بني العُرندِ

قولي لعبدِ القيسِ إنْ لم تجدِ لا تفرحي بالجلبِ الأشـــدِّ

فالشاعر وفي أثناء مدحه يشيد بشجاعة وبطولة ممدوحه ويشير إلى أن كم من ملك من آل كسرى، أو من آل برد ((بن أفصى بن دعمى بن إياد بن معد بن عدنان))[54]، قد مال عن الصواب، وعصى فأنت جئت فقتلته وفصلته عن ماله وولده، ثم ينتقل الشاعر إلى خطاب آخر، وهو خطاب امرأة متخيلة من بني العرندُ، الذي قد يكون فرع من فروع ((عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان))[55]، الذي قاتلهم الممدوح وقتلهم في البحرين بأمر المنصور[56]، جاعلاً من هذا الخطاب إجابة لسؤال هذه المرأة عن أحوال الحرب التي لم تشهدها، وهي صيغة من صيغ التعريض بأعداء الممدوح، فالشاعر يبلغ هذه اللائمة بهزائم قومها، مشبهاً ممدوحه بالأسد الذي أجتمع عليه القوم وأثاروا الجلب والصياح لهزيمته، ولكنهم لم يفلحوا معه.

ويلاحظ أن بشاراً لا ينفك عن الفخر بنفسه، وبنسبه الذي يعود إلى بني فارس، ففي قصيدة أخرى يمتزج فيها الفخر بالهجاء يقول[57]:

فأصبحتُ لاأخشَى عداوةَ مجلبٍ يدُ اللهِ دوني واللّسانُ حصادُ

أنا ابن ملوكِ الأعجمينَ تقطَّعَت على، ولي في العامرينَ عمادُ

يلاحظ في الأبيات مسحة السخرية والهزء لمن أراد أن يتحدى بشار بأن جعل خصمه لا خير فيه ولا نفع معزز قوله بأن الله قد حماه وأعطاه موهبة الشعر التي من خلالها يرد على أعدائه مبيناً مثالبهم بلسان يحصدهم حصداً، مفتخراً في الوقت ذاته بأنه ابن ملوك الأعاجم وقد تقطعت عليه صفة الملكية، وفصلت عليه، ولم يكتف بهذا بل جعل نسبه يرتبط بأشهر قبائل العرب الأصيلة والذين يصرح عنهم بقوله (في العامرين) ولعلَّهُ ((بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن قيس بن عيلان بن مضر))[58]، أصحاب التاريخ حتى يصل إلى درجة عالية بالفخر بنفسه.

(54) جمهرة أنساب العرب: 327/2

(55) المصدر نفسه: 483/2

(56) يُنظر : تاريخ اليعقوبي: 396/2

(57) الديوان: 105/3

(58) جمهرة أنساب العرب: 272/1، والأنساب: 113/4-115

وفي غرض الغزل كانت الأنساب حاضرة عند بشار ففي قصيدة يتغزل بنساء آل عقيل مستوحياً نسب هذه القبيلة يقول[59]:

قُمْ خَليلي فانظرْ أراكَ بصيراً هَلْ ترى بالرّسيسِ ذي النَّخلِ عِيرَا

ظعنًا من بني عُقيلِ بن كعبٍ مشرفاتِ الوجُوهِ عيناً وحوُرَا

فالشاعر أصابته الدهشة بعد سماعه رحيل أحبته، مستعيناً بأحد أصحابه طالباً منه أن يعلمه بما يراه من هذا الرحيل الذي أثر في الشاعر ثم يصف نساء هذه القبيلة وهي قبيلة ((بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة))[60]، وهي من القبائل العربية المشهورة إذ أنَّ بشاراً ((يتعلق بشعره بولاء عقيل بن كعب... ويفتخر بالمضرية))[61]، حيث يصفهن بأنهن مشرفات الوجوه على الإبل التي رحلن عليها، وهذه الصورة من الصور المؤثرة في نفس الشاعر، لكونها تعبير عن احساس صادق استطاع الشاعر أن ينقله إلى أبياته، مستعيناً بثقافته بالأنساب لإعطاء اللوحة الشعرية أكثر تأثيراً وقبولاً.

وفي قصيدة أخرى يذكر فيها أحد مجالسه ويستدعي فيها أحد أنساب العرب يقول[62]:

ويومٌ في بني جُشَم بن بكرٍ نَعَمتُ به ونَدمانِي زيادُ

إذا ما شِئتُ غناني كريمٌ لَهُ حسبٌ وليسَ لَهُ تلادُ[63]

ففي أحد مجالس الشاعر التي قضاها في بني جشم بن بكر القبيلة العربية، التي يرجع نسبها إلى

(59) الديوان: 3/232-233

(60) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ابو الفوز السويدي: 170

(61) زهر الآداب وثمر الألباب: 2/472

(62) الديوان: 4/46

(63) التلاد: المال القديم الذي ولد عندك، والتليد الذي ولد ببلاد العجم ثم حمل صغيراً فثبت في البلاد الإسلامية، وقيل إن الأتلاد هي بطون من عبد القيس. ينظر: الصحاح: 128، ولسان العرب: 3/99-100

حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب[64]، يفتخر الشاعر بنفسه وبمكانته، وشأنه في هذه القبيلة فكان نديمه في ذلك اليوم أحد أفراد هذه القبيلة المعروفين، وإذ ما شاء غناه كريم منها، وبذلك أدرك بشار أهمية تضمين شعره بهذه الثقافة للوصول بهذا الشعر إلى غاياته المنشودة التي كان يبتغيها.

المبحث الثالث

أيام العرب ومآثرهم

اولاً: أيام العرب ومآثرهم في شعر بشار بن برد

شكَّلَت أيام العرب ومآثرهم مصدراً من مصادر التاريخ، فهي تمثل أمجاداً ومفاخر يعتز بها العرب على مر العصور؛ لذلك فإنَّ هذا النمط الثقافي يُعُّد من أهم وسائل الشاعر الفكرية التي يجب أن يحيط بها لمعرفة أيام الناس ووقائعهم[65] في بناء نصه الشعري، وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ بشاراً قد استلهم تلك الأيام، وسعى إلى توظيفها توظيفاً يتناسب ومدحه واعتزازه وفخره، ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا النمط الثقافي لم يشكل مساحة واسعة في شعر بشار، وقد يعود سبب هذا إلى أنَّ الشاعر وظّف هذا النمط بحسب مقتضيات الحاجة إليه، أو لعلَّهُ لم يكن في حقيقته يعتز بأيام العرب ومآثرهم، وذلك ما يفسر اعتزازه بأصله الفارسي، وفخره بقومه الفرس.

وفي هذا الباب من عمق التاريخ القديم يشير بشار إلى حادثة تاريخية مشهورة وهي حرب داحس والغبراء والتي قامت بين عبس وذبيان وأودت بحياة كثير من الناس، مستفيداً من دلالة أسباب هذه الواقعة، فداحس أسم فرس لقيس بن زهير سيد بني عبس[66]، ويضيف الشاعر إلى هذه الصورة صورة أخرى لتكون تعزيز لفكرته التي يبغي التصريح عنها من خلال النص الشعري وهي صورة (بكر ثمود) أو (ناقة صالح) التي جعلها الله أية لثمود والتي كانت السبب في هلاكهم قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[67].

يستنطق الشاعر بعض الدلالات المعنوية لهذه الحوادث يقول[68]:

أظنُ سعيداً كائناً لصديقِهِ كداحسِ عبسٍ او كبكرِ ثمودِ

واضح ممَّا لا يقبل الشك أنَّ تمثيل الشاعر لهذه الحوادث كناية عن الشدة، والشؤم الذي جعلهما الشاعر قرائن لشخصية مهجوة في النص الشعري حيث كان هذا المهجو نذير شؤم على من ارتبط به، وبذلك فإنَّ استعانة الشاعر بذاكرة التأريخ أمدته بطاقة إيحائية، ومنحته القدرة على تأنيب الخصم وتعنيفه، وبهذا أصبحت هذه الحوادث وما يرتبط بها من مسببات وسيلةَ الشاعر لأغراضهِ.

---

(64) ينظر: جمهرة أنساب العرب: 304/2

ولمعرفة المزيد من حضور هذه الثقافة في شعر بشار ينظر الديوان: 148/1-149، 189/2، 256، 41/3، 53-54، 80، 113، 134، 251-253، 190، 194،201، 271، 281-283، 38/4، 50، 163، 205.

(65) ينظر: عيار الشعر: 10، وسر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: 279

(66) ينظر: ايام العرب في الجاهلية، منذر الجبوري: 246

(67) الشمس: 11 – 15

(68) الديوان: 112/3

ويبدو أنَّ بشاراً و في مقام المدح التفَتَ إلى التاريخ الإسلامي باحثاً عن حادثة تعينه على ما يروم التعبير عنه، ففي قصيدة له وجد في واقعة (حنين) خير معين لذلك، ومعلوم أنَّ واقعة حنين من الوقائع الإسلامية التي قادها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)، والتي كان لها الأثر الأكبر في نفوس المسلمين ومشاعرهم، ملتمساً دلالات هذه الواقعة في بيان دور أجداد ممدوحه في دفاعهم عن الدين، مبيناً من خلالها شجاعتهم وتفانيهم من اجل الإسلام والمسلمين، يقول[69]:

وأنتُم سقاةُ الحجّ لولا حياضُكُم وأدلئكُم لم تحمَدْ النَّاسُ مَوردَا

ورثتُم رسولَ اللهِ ببيتِ خلافةٍ وعزًّا على رَغمِ العدوّ وسودَدَا

لكم نجدةُالعباسِ في كلِّ موطنٍ ويومَ حنين[70] إذ أشاعَ وأشهَدَا

يلاحظ أنَّ توظيف الشاعر لهذه الواقعة متأتٍ من شخوصها ومنهم العباس بن عبد المطلب جد الممدوح، وما قام به من دور في الدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والشاعر أراد إن يجعل صورته المدحية أكثر تميزا فكانت واقعة حنين المعين الذي نهل منه الشاعر دلالاته المعنوية واتكأ عليها في رسم شجاعة ممدوحه.

ويعود بشار مرة أُخرى يستدعي واقعة حنين، ويبدو أنَّ هذه الواقعة أثَّرت في الشاعر الأمر الذي جعله يعيد ذكرها، ولكن هذه المرة في مدح الخليفة المهدي يقول[71]:

وأبقَى لكَ العباسُ يوماً مُشهرا إذا سِرتَهُ في الذّكرِ جلَّ عن الذِّكرِ

جالدةُ دونَ النبيّ بسيفِهِ بوادي حُنينٍ غيرَ وانٍ ولا غمرِ

كأنَّ دماءَ القومِ يومَ لقائِهِ رُدَاعُ عروسٍ بالذراعينِ والنَّحرِ

عشيةَ يدعُو المسلمينَ بصوتِهِ وقد نفَروا واستطلَعَ الصَّوتُ عن النَّفرِ

(69) الديوان: 3/39 – 40

(70) معركة حنين: وهي من المعارك التي شارك فيها رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام هوازن بقيادة مالك بن عوف، وفيها أعجب المسلمون كثرتهم، وكانت هوازن قد كمنت لهم في الوادي فخرجوا على المسلمين، وكان يومٌ عظيم، فانهزم المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يبقى في عشرة من بني هاشم منهم الإمام علي أبن أبي طالب (عليه السلام)، والعباس بن عبد المطلب فأنزل الله سكينة على رسول الله وعلى المؤمنين. ينظر تاريخ اليعقوبي: 62/2

(71) الديوان: 285/3

يستدعي الشاعر واقعة حنين، ورُبَّما أراد من وراء هذا الاستدعاء الثقافي للواقع الإسلامي ذي التأثير الدلالي في نفوس المسلمين بيان روح الحماسة والتضحية في سبيل الإسلام ومبادئه عند أجداد الممدوح، الأمر الذي جعل شعره ذا وقع خاص في مسامع المهدي، ففي أثناء هذا المدح يقوم الشاعر بسرد جانب من أحداث واقعة حنين من خلاله دور العباس بن عبد المطلب، ووقوفه بشجاعة وصبر حتى أصبحت دماء القوم تسيلُ من كل جانب منهم، ومن هذه الصورة البصرية ينتقل في سرده إلى صورة سمعية وهي دعوة العباس إلى المسلمين بعد فرارهم عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ومن هنا فقد أدرك الشاعر أهمية تصوير هذه الأحداث لممدوحة؛ لإصابة رضاه وكسب ثناياه.

ورُبَّما كان تصوير جو المعركة من المعالجات الفنية التي يطوعها الشعراء للتعبير عن أجواء الفروسية والحرب عن طريق سرد جزئيات الحدث الحربي إذ يهيئ لسماع تفاصيل تلك الحوادث[72].

وخلاصة القول إنَّ أيام العرب ومآثرهم أصبحت وسيلةً من وسائل الشاعر المتعددة التي كان لها الدور الفعَّال في نفوس الناس، إذ علم الشاعر أهمية توظيف هذه الأيام والوقائع في شعره، ووصوله بهذا التوظيف إلى غاياته الموضوعية والفنية، فهي أذن (أيام العرب) واحدة من العيون التي يستقي منها الشاعر أفكاره الشعرية وكأنَّه في ساحة المعركة، تسعفه في ذلك شاعريته وقدرته على التعبير.

النتائج:

- يستحضر بشَار الرموز التاريخية في شعره بما يلائم أفكاره وتجربته الشعرية.
- الحكمة وجَدَت طريقها الى شعر بشار بن برد بتأثير ثقافته الواسعة.
- يستعين بشار بالتأريخ للتعبير عمَّا يدورُ في خلده مما يدل على قدرة الشاعر وامتلاكه طاقة تعبيرية تسندها معرفة بتأريخ الأُمم والملوك.
- أدرك بشار أهمية الإفادة من التراث بما يحتويه من صور متعددة ترفد الشاعر بأشكال مختلفة من المشاهد والتصورات في إبداعه الشعري.
- إن الشاعر استثمر دلالات شخصياته التي استدعاها في بيان عمق تجربته الفردية وقيمتها الإنسانية.
- أن بشاراً لا ينفك عن الفخر بنفسه، وبنسبه الذي يعود إلى بني فارس.
- استلهم بشار أيام العرب وسعى إلى توظيفها في شعره توظيفاً يتناسب ومدحه واعتزازه وفخره.
- (أيام العرب) واحدة من العيون التي يستقي منها الشاعر أفكاره الشعرية وكأنَّه في ساحة المعركة تسعفه في ذلك شاعريته وقدرته على التعبير.

(72) ينظر: البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية، د.سعيد حسون العنبكي: 126.

المصادر والمراجع:

- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، د.علي عشري زايد، دار الفكر العربي، بيروت، 1417هـ - 1997م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض، تفسير، ومقارنة)، د.عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، بيروت، ط3، 1974م.
- الأغاني، ابو فرج الاصفهاني، إعداد: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- الأنساب، السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الطبعة: الأولى، 1382هـ.
- أيام العرب في الجاهلية، د.محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، ومحمد احمد جاد المولى، دار الجيل، بيروت، 1998م.
- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط7، 1418هـ/ 1998م.
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.
- تأريخ اليعقوبي، احمد بن واضح اليعقوبي، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2010م.
- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، د.شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1379هـ - 1959م.
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5، 2013م.
- الحب العذري نشأته وتطوره، احمد عبد الستار الجواري، مكتبة المثنى، مصر، 1367هـ . 1986م.
- ديوان أبو تمام، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار الكتاب العربي، 1414هـ - 1994م.
- ديوان بشار، ابو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلى، جمع وشرح: محمد الطاهر بن عاشور، مجمع اللغة العربية، مصر، 1376هـ - 1957م.

- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د.محمد فتوح احمد، دار المعارف، مصر، ط2، 1978م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، ابو اسحاق القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ابو الفوز السويدي، دار إحياء العلوم، بيروت، د. ت.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1372هـ، - 1982م.
- الصورة الشعرية في الغزل العذري، د.دلال هاشم كريم الكناني.
- طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1980م.
- العمدة من محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ - 1981م.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2002م.
- عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا، تحقيق: عباس عبد الساتر، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426هـ - 2005م.
- الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، محمد سامي الدهان، دار المعارف، مصر، 1981م.
- في التراث والشعر واللغة، د.شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1426هـ 2005م.
- الكامل في التأريخ، ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم أبو الحسن عز الدين، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط2، 1414هـ.
- مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، المكتبة العصرية، بيروت.
- المعارف، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م.
- المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، دار جامعة بغداد للنشر، العراق.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.، القلقشندي، أبو العباس علي، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1400هـ - 1980م.